ولذلك لان من لم يبلغ عشر سنين من الصبيان لا يولد وان كان له عشر سنين جاز ان يكون الولد له وكان بينهما اللعان اذا لم
يقر به وقال الفقهاء ايضا ان نساء تهامة يحضن لتسع سنين لشدة الحر ببلادهن قال الجاحظ ولو لم يعرف باطل هذه
الدعوى من اثر التقوى وتحفظ من الهوى الا بترك علي عليه السلام ذكر ذلك لنفسه والاحتجاج به على خصمه وقد نازع الرجال وناوى
الاكفاء وجامع اهل الشورى وولي وولي عليه لكان كافيا ومتى لم تصح لعلي ع هذه الدعوى في ايامه ولم يذكرها لاهل عصره
فهي عن ولده اعجز ومنهم اضعف ولم ينقل الينا انه قال ان عليا عليه السلام احتج بذلك في موقف ولا ذكره في مجلس ولا قام به خطيبا
ولا ادلى به واتقا الا سيما وقد رضيه الرسول صلى الله عليه وآله عندكم مفزعا ومعلما وجعله للناس اماما ولا ادعى له احد
ذلك في عصره كما لم يدعه لنفسه حتى يقول انسان واحد به الدليل على ما قلناه ان النبي صلى الله عليه وآله دعاه الى الاسلام
او كلفه التصديق قبل بلوغه ليكون ذلك آية للناس في عصره وحجة له ولولده من بعده فهذا كان اشد على طلحة والزبير
وعائشة من كل ما ادعاه من فضائله وسوابقه وذكر قرابته قال شيخنا ابو جعفر رحمه الله ان مثل الجاحظ مع فضله و
علمه لا يخفى عليه كذب هذه الدعوى وفسادها ولكنه يقول ما يقوله تعصبا وعنادا وقد روى الناس كافة افتخار علي
عليه السلام بالسبق الى الاسلام وان النبي صلى الله عليه وآله استنبئ يوم الاثنين واسلم علي يوم الثلثاء وانه كان يقول
صليت قبل الناس سبع سنين وانه ما زال يقول انا اول من اسلم ويفتخر بذلك ويفتخر له به اولياؤه ومادحوه وشيعته
في عصره وبعد وفاته والامر في ذلك اشهر من كل شهير وقد قدمنا منه طرفا وما علمنا احدا من الناس فيما خلا
استخف باسلام علي ع ولا تهاون به ولا زعم انه اسلام حدث غرير وطفل صغير ومن العجب ان يكون مثل العباس وحمزة
ينتظران اباطالب وفعله ليصدرا عن رأيه ثم يخالفه علي ابنه لغير رغبة ولا رهبة يؤثر القلة على الكثرة والذل
على العزة من غير علم ولا معرفة بالعاقبة وكيف ينكر الجاحظ والعثمانية ان رسول الله صلى الله عليه وآله دعاه الى الاسلام
وكلفه التصديق له وقد ورد في الخبر الصحيح انه كلفه في مبدأ الدعوة قبل ظهور كلمة الاسلام وانتشارها بمكة
ان يصنع مثل ذلك الطعام وان يدعوهم ثانية فصنعه ودعاهم فاكلوا ثم كلمهم صلى الله عليه وآله فدعاهم الى الدين ودعا
معهم لانه من بني عبد المطلب ثم ضمن لمن يوازره منهم وينصره على قوله ان يجعله اخاه في الدين ووصيه بعد موته وخليفته
من بعده فامسكوا كلهم واجابه هو وحده وقال انا انصرك على ما جئت به واوازرك وابايعك فقال لهم لما رأى منهم
الخذلان ومنه النصر وشاهد منهم المعصية ومنه الطاعة وعاين منهم الاباء ومنه الاجابة هذا اخي ووصيي وخليفتي
من بعدي فقاموا يسخرون ويضحكون ويقولون لابي طالب اطع ابنك فقد امره عليك فهل يكلف عمل الطعام ودعاء
القوم صغير غير مميز وغر غير عاقل وهل يؤتمن على سر النبوة طفل ابن خمس سنين او ابن سبع وهل يدعى في جملة الشيوخ والكهول
الا عاقل لبيب وهل يضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده في يده ويعطيه صفقة يمينه بالاخوة والوصية والخلافة الا
وهو اهل لذلك بالغ حد التكليف محتمل لولاية الله وعداوة اعدائه وما بال هذا الطفل لم يأنس باقرانه ولم يلصق
باشكاله ولم ير مع الصبيان في ملاعبهم بعد اسلامه وهو كاحدهم في طبقته وكبعضهم في معرفته وكيف لم ينزع اليهم في ساعة
من ساعاته فيقال دعاه بعض الصبى وخاطر من خواطر الدنيا وحملته الغرة والحداثة على حضور لهوهم والدخول في حالهم
بل ما رأيناه الا ماضيا على اسلامه مصمما في امره محققا لقوله بفعله قد صدق اسلامه بعفافه وزهده ولصق برسول
الله صلى الله عليه وآله من بين جميع من بحضرته فهو امينه واليفه وفي دنياه وآخرته فهو قهر شهوته وجاذب خواطره صابرا على
ذلك نفسه لما يرجو من فوز العاقبة وثواب الآخرة وقد ذكر هو عليه السلام في كلامه وخطبته بدء حاله وافتتاح امره حيث اسلم
لما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله الشجرة فاقبلت تخد الارض فقالت قريش ساحر خفيف السحر فقال علي ع يا رسول الله
انا اول مؤمن بك آمنت بالله ورسوله وصدقتك فيما جئت به وانا اشهد ان الشجرة فعلت ما فعلت بامر الله تصديقا
لنبوتك وبرهانا على صحة دعوتك فهل يكون ايمان قط اصح من هذا الايمان واوثق عقدة واحكم مرة ولكن حنق
العثمانية وغيظهم وعصبية الجاحظ وانحرافه مما لا حيلة فيه ثم لينظر المنصف وليدع الهوى جانبا ليعلم نعمة الله على
علي عليه السلام بالاسلام حيث اسلم على الوضع الذي اسلم عليه فانه لولا الالطاف التي خص بها والهداية التي منحها لما كان

الا كبعض اقارب محمد صلى الله عليه وآله واهله فقد كان ممازجا كممازجته ومخالطا كمخالطته كثير من اهله ورهطه ولم يستجب منهم احد الا بعد
حين ومنهم من لم يستجب له اصلا فان جعفرا ع كان ملتصقا به ولم يسلم حينئذ وكان عتبة بن ابي لهب ابن عمه وصهره وزوج ابنته
ولم يصدقه بل كان شديدا عليه وكان لخديجة بنون من غيره لم يسلموا حينئذ وهم ربائبه ومعه في دار واحدة وكان ابو طالب
اباه في الحقيقة وكافله وناصره والمحامي عنه ومن لولاه بعد الله تعالى لم تقم له قائمة ومع ذلك لم يسلم في اغلب الروايات وكان
العباس عمه وصنو ابيه وكالقرين له في الولادة والمنشأ والتربية ولم يستجب له الا بعد حين طويل وكان ابو لهب عمه
وكدمه ولحمه ولم يسلم وكان شديدا عليه فكيف ينسب اسلام علي ع الى الالف والتربية والقرابة واللحمة والتلقين والحضانة
والدار الجامعة وطول العشرة والانس والخلوة وقد كان كل ذلك حاصلا لهؤلاء او لكثير منهم ولم يهتد احد منهم اذ ذاك بل كانوا
بين من جحد وكفر ومات على كفره ومن ابطأ وتأخر وسبق بالاسلام وجاء سكيتا وقد فاز بالمنزلة غيره وهل يدل تأمل حال
علي ع مع الانصاف الا على انه اسلم لانه شاهد الاعلام ورأى المعجزات وشم ريح النبوة ورأى نور الرسالة وثبت اليقين في
قلبه بمعرفة وعلم ونظر صحيح لا بتقليد ولا حمية ولا رغبة ولا رهبة الا فيما يتعلق بامور الآخرة قال الجاحظ ولو ان عليا
عليه السلام كان بالغا حيث اسلم لكان اسلام ابي بكر وزيد بن حارثة وخباب بن الارت افضل من اسلامه لان اسلام المقتضب
الذي لم يعتد به ولم يعوده ولم يمرن عليه افضل من اسلام الناشئ الذي ربي فيه ونشأ وحبب اليه وذلك لان صاحب التربية
يبلغ حيث يبلغ وقد اسقط الفه عنه مؤونة الروية والخاطر وكفاه علاج القلب واضطراب النفس وزيد وخباب وابو بكر
يعانون من كلفة النظر ومؤونة التأمل ومشقة الانتقال من الدين الذي قد طال الفهم له ما هو خير خلاف ولو كان علي ع حيث
اسلم بالغا مقتضبا كغيره ممن عددنا ما كان اسلامهم افضل من اسلامه لان من اسلم وهو يعلم ان له ظهرا كابي طالب وردءا
كبني هاشم وموضعا في بني عبد المطلب ليس كالحليف والمولى والتابع والعسيف وكالرجل من عرض قريش اولست تعلم ان قريشا
خاصة واهل مكة عامة لم يقدروا على اذى النبي صلى الله عليه وآله ما كان ابو طالب حيا وانهم فات اولئك اجتمع عليهم من
فراق الالف مشقة الخواطر وعلي ع كان بحضرة الرسول صلى الله عليه وآله يشاهد الاعلام في كل وقت ويحضر منزل الوحي فالامر
له اشد انكشافا والخواطر على قلبه اقل اعتلاجا وعلى قدر الكلفة والمشقة يعظم الفضل ويكثر الاجر قال شيخنا ابو جعفر رحمه الله
ينبغي ان ينظر اهل الانصاف هذا الفصل ويقفوا على قول الجاحظ والاصم في نصرة العثمانية واجتهادهما في القصد الى فضائل هذا
الرجل وتهجينها فمرة يبطلان معناها ومرة يتوصلان الى حط قدرها ولينظر في كل باب اعترضا فيه اين بلغت حيلتهما وما
صنعا في احتيالهما في قصصهما وسجعهما اليس اذا تأملتها علمت انها الفاظ ملفقة بلا معنى وانها عليهما لا لهما والا فما
عسى ان يبلغ حيلة الحاسد ويغني كيد الشانئ لمن قد جل قدره عن النقص واضاءت فضائله اضاءة الشمس واين
قول الجاحظ من دلائل السماء وبراهين الانبياء وقد علم الصغير والكبير والعالم والجاهل ممن بلغه ذكر علي ع وعلم مبعث النبي
صلى الله عليه وآله ان عليا ع لم يولد في دار الاسلام ولا غذي في حجر الايمان وانما استضافه رسول الله صلى الله عليه وآله
الى نفسه سنة القحط والمجاعة وعمره يومئذ ثماني سنين فمكث معه سبع سنين حتى اتاه جبرئيل بالرسالة فدعاه وهو
بالغ كامل العقل الى الاسلام فاسلم بعد مشاهدة المعجزة وبعد اعمال النظر والفكرة وان كان قد ورد في كلامه انه صلى سبع
سنين قبل الناس كلهم فانما يعني ما بين الثماني والخمس عشرة ولم يكن حينئذ دعوة ولا رسالة ولا ادعاء نبوة وانما كان رسول الله
صلى الله عليه وآله يتعبد على ملة ابراهيم ودين الحنيفية ويتحنث ويجانب الناس ويعتزل ويطلب الخلوة وينقطع في جبل
حراء وكان علي ع معه كالتابع والتلميذ فلما بلغ الحلم وجاءت النبي ص الملائكة وبشرته بالرسالة دعاه فاجابه عن نظر
ومعرفة بالاعلام المعجزة فكيف يقول الجاحظ ان اسلامه لم يكن مقتضبا وان كان اسلامه ينقص عن اسلام غيره في الفضيلة
لما كان يمرن عليه من التعبد مع رسول الله ص قبل الدعوة ليكون طاعة كثير من المكلفين افضل من طاعة رسول
الله ص واما الذين المعصومين لان العصمة عند اهل العدل لطف يمنع من اختص به من ارتكاب القبيح فمن اختص بذلك
اللطف كانت الطاعة عليه اسهل فوجب ان يكون ثوابه انقص من ثواب من لم يعط من تلك الالطاف وكيف يقول الجاحظ
ان اسلامه ناقص عن اسلام غيره وقد جاء في الخبر انه اسلم يوم الثلثاء واستنبئ النبي ص يوم الاثنين فمن هذه حاله لم يكن يحج